

## رسالة للسلام الدولي من مصر منذ 3300 عام

نوكي ماساكي، سفير اليابان لدى مصر

اليوم الرابع من نوفمبر، الذي يوافق الذكرى الـ 99 على اكتشاف مقبرة الملك توت عنخ آمون، وبينما نتطلع إلى افتتاح طريق الكباش الذي يربط بين معبدي الكرنك والأقصر، والذي تم ترميمه، أود أن أشارككم سحرًا آخر من سحر العاصمة المصرية القديمة.

يُذهل معبد الكرنك بالأقصر الزوار بحجمه الاستثنائي وقيمته التاريخية. وأنا واحد من هؤلاء المعجبين بهذا التراث العالمي. لكن بالنسبة لي كدبلوماسي قادم من اليابان، كان الأمر الأكثر إثارة للدهشة، هو العثور على جدرانه التي تحتوي على نقوش أقدم معاهدة سلام في العالم، وهي معاهدة قادش.

النسخة الحيثية من هذه المعاهدة معروفة بشكل أفضل لبعض الناس. وهي نسخة طبق الأصل من اللوح الطيني ذي الكتابة المسمارية والموجودة في المقر الدائم للأمم المتحدة بنيويورك. من المؤسف أن هذا العدد الهائل من زائري الأقصر لا يلاحظون هذه النسخة الهيروغليفية الرائعة، حيث أنهم أكثر اهتمامًا بمعركة قادش.

لذا قررت أن أتعلم في هذا الأمر بمساعدة الأصدقاء المصريين. خاضت قوتان كبيرتان في الشرق الأوسط، وهما المملكة المصرية الحديثة بقيادة رمسيس الثاني والإمبراطورية الحيثية بقيادة الملك مواتلي الثاني، معركة شرسة في قادش على نهر العاصي بالقرب من حمص اليوم، على بعد بضعة كيلومترات فقط من الحدود السورية - اللبنانية. ويقال إن هذا قد حدث في حوالي عام 1274 قبل الميلاد، على الرغم من استمرار الجدل حول التاريخ المحدد. يختص عدد من الجدران الحجرية في أبيدوس والكرنك والأقصر وأبو سمبل بوصف النسخة المصرية من المعركة والانتصار البطولي لرمسيس الثاني.

بعد حوالي 16 عامًا من المعركة، تم إبرام معاهدة سلام رسمية بين رمسيس الثاني وخاتوشيلي الثالث، ملك الحيثيين الجديد، وذلك على خلفية الضغط المتزايد من الآشوريين وسباق الخلافة بين الحيثيين. نُقِشت النسخة الهيروغليفية من هذه المعاهدة على جدران معبد الرامسيوم ومعبد الكرنك بالأقصر.

تُعد الروايات التفصيلية للمعركة شائعة وذات قيمة بالنسبة للتاريخ العسكري. إلا أن الأمر الأكثر أهمية بالنسبة لنا في عالم اليوم هو أنه تم الاتفاق على أقدم معاهدة سلام وأصبحت معروفة وواضحة للجميع.

يمكن تلخيص جوهر الالتزامات المتبادلة بينهم على النحو التالي:

- 1- يعم سلام وأخوة دائمين بين مصر والحيثيين.
  - 2- لا ينتهك أي من الطرفين أرض الآخر.
  - 3- في حال تعرض أي من الطرفين للهجوم من طرف ثالث أو قوى داخلية، يقوم الطرف الآخر بإرسال قوة لدعمه.
  - 4- يقوم كل جانب بإعادة المنشقين والمعارضين إلى الجانب الآخر.
- يمكننا هنا أن نجد اثنين من السمات، وهما معاهدة سلام لإنهاء الحرب، ومعاهدة تحالف للالتزام المتبادل بعدم الاعتداء والمساعدة. ومن المثير للدهشة أن نجد في مثل هذا العهد القديم نوعًا أوليًا من الآلية القانونية الحالية للسلام والأمن.

عندما زرت معبد الكرنك، وجدت نص المعاهدة على الحائط الممتد ناحية الجنوب من قاعة الأعمدة الكبرى، حيث وجدت أنه بعد أن تم عمل مناظر للاستسلام تحتوي على نقوش ونصوص تتحدث عن المعارك ضد الأعداء. لكن لسوء الحظ، استخدم السكان الذين عاشوا هنا فيما بعد تلك الجدران لشحن سكاكينهم، مما أدى إلى تآكل بعض النقوش، إلا أن الأجزاء الرئيسية من النص ما زالت يمكن قراءتها.

اكتشفت أن قراءة جميع هذه النصوص، أمر يفوق قدرتي، لكنني أردت التحقق من الجزء الأساسي من هذه المعاهدة، وهو التعهد بالسلام بين الإمبراطوريتين. كان النص الذي أبحث عنه منقوش على ارتفاع يزيد عن 3 أمتار، ولم أتمكن من رؤيته. لذا طلبت المساعدة من الدكتور مصطفى وزيرى، أمين عام المجلس الأعلى للآثار. حيث سمح لي باستخدام السقالة أمام الحائط حتى أتمكن من رؤية النصوص والنقاط الصورية. كانت هناك بعض الأجزاء غير المقروءة، لكنني كنت في غاية الحماس لتحديد النص الذي يقول: "أرض كيمييت (مصر) معًا مع أرض خيتا

(أرض الحيثيين) (ستكون في) سلام وأخوة معاً إلى الأبد ولن يحدث العداء بينهما أبداً، وإلى الأبد." (ملحوظة 1)

استغرقت وقتاً في كتابة وفهم السطرين ذاتا الصلة بالتعهد بالسلام الأبدي كلمة تلو الأخرى. ويجب هنا أن أشكر علماء الآثار المتميزين ممن ساعدوني في ذلك، مثل الدكتور زاهي حواس والدكتور طارق توفيق والدكتورة علا العجيزي، حيث أجابوا بكرم وسخاء على أسئلتني الغربية. في النهاية، أصبحت كتابتي للنصوص بخط اليد تذكاراً جميلاً من مصر.

يُقال إن الهيروغليفية لغة غريبة للغاية، حيث أنها تستخدم كل من الإيديوجرام (الرسم الفكري أو الرمز) و الفونوجرام (الرسم الصوتي الدال على صوت) (ملحوظة 2)، إلا أنها تتشابه مع اللغة اليابانية كثيراً. فنحن نستخدم الكانجي (إيديوجرام)، وأيضاً الكانا التي تُمثل (الفونوجرام). مما جعلني أشعر بأن الهيروغليفية مألوفة بالنسبة لي.

هناك بالفعل العديد من الدراسات التي أجراها المتخصصون حول المعاهدة، لكنني وجدت طريقة لتحقيق السلام الأبدي مثيرة للاهتمام بشكل خاص.

حيث تشكلت من خلال ثلاث خطوات. لقد تم التعهد في البداية من قبل الزعيمين رمسيس الثاني وخاتوشيلي الثالث بالسلام والأخوة الأبديين، ثم تم التعهد بذلك من قبل أبنائهما أو شعبهما، وأخيراً تم التعهد بذلك من قبل البلدين أو الدولتين، وهما مصر وبلاد الحيثيين.

كانت العلاقات الدولية في ذلك العهد تعتمد على العلاقات الشخصية بين أصحاب السيادة وتتغير هذه العلاقات بتغير هؤلاء الملوك. إلا أن معاهدة قادش حولت التعهد الشخصي بين القادة إلى اتفاق ملزم بين الدول. نجد هنا المبدأ الأساسي للقانون الدولي في يومنا هذا وهو: يجب احترام الاتفاقيات بين الدول حتى لو تغيرت القادة أو الحكومات. ولكن بالطبع، ليس هذا هو الحال دائماً في السياسة على أرض الواقع.

كانت هناك أيضاً نتائج مثيرة للاهتمام في اللغة. يستخدم النص اسم صاحب الحق في العرش وهو رمسيس الثاني (ملحوظة 3). وعادةً ما يتبع ذلك الاسم لقب "سيد مصر العليا والسفلى (ملحوظة 4)" وذلك للتأكيد على سلطة توحيد الأقاليم. إلا أن اللقب في هذا النص هو "الحاكم الأعظم لمصر (ملحوظة 5)"، ربما لأنه كان من الأهمية بمكان أن يُمثل الفرعون البلاد بأكملها.

ويتم هنا التعبير عن "الحاكم" برمز السلطة الإلهية، وهو صولجان "الحكا"، أو عصا الراعي للفرعون. إلا أن نظيره وهو ملك الحيثيين يتم تصويره على أنه شخص واقف. ويُمثل في الغالب على أنه "رجلاً عظيماً".

هناك عدم تناسق مشابه عند سرد السلام بين الأطفال. ففي الكتابة الهيروغليفية، يتم التعبير عن الأطفال من خلال الجمع بين الحروف لإعطاء الصوت والرمز يسمى "المخصص" للدلالة على المعنى. بالنسبة للمصريين، فإن المخصص هو رمز لطفل، ولكن بالنسبة للحيثيين، فهو رمز لعصفور، ويعني الصغير أو الضعيف. ضرباً من الازدراء البسيط.

هناك بعض الأمثلة على تقنيات الترجمة في اللغات الأيدوجرامية. حيث من الممكن تمجيد الذات والتقليل من شأن الآخرين، دون حدوث تغيير في المعنى بالضرورة. فقد كانت هناك أفعال مماثلة في آسيا القديمة، باستخدام الأحرف الصينية، على سبيل المثال، عند تسمية "البربر".

من خلال دراستي لسطرين فقط على جدار معبد الكرنك، تعلمت الكثير من الأشياء. إلا أن أهم درس تعلمته هو أن معركة قادش لم تكن فقط مجرد صفحة مجيدة في التاريخ المصري، بل إن معاهدة السلام الخاصة بها كانت أيضاً بمثابة علامة فارقة في تاريخ العالم ومازالت تبعث إلينا برسائل السلام الدولي من مصر قبل 3300 عام.

(ملحوظة 1) يقرأ هذا الجزء في الغالب:

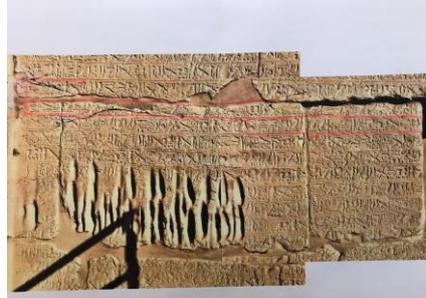
**"pa ta en kemet irm pa ta en hata hetep senewy mi qad sen r nehehe, iw bew kheper en herwy r iwd sen r nehehe."**

(ملحوظة 2) اكتشف جان فرانسوا شامبليون الاستخدام الصوتي للهيروغليفية في عام 1822، باستخدام خرطوش الملك بطليموس وخرطوش

- الملكة كليوباترا من على حجر رشيد.  
(ملحوظة 3) "أوسر معت رع، سنب إن رع"، وتعني: القوي والمؤيد بعدالة رع، أو المختار من قبل رع.  
(ملحوظة 4) لقب النسوبيتي .  
(ملحوظة 5) حقا أي إين كميث.



النصوص ذات الصلة موجودة في الجزء المحاط باللون الأحمر، على ارتفاع يزيد عن 3 أمتار.



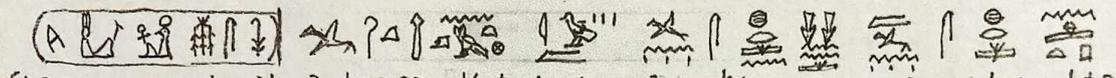
الجزء المكبر ذو الصلة تم تمييزه باللون الأحمر

① Peace between Leaders

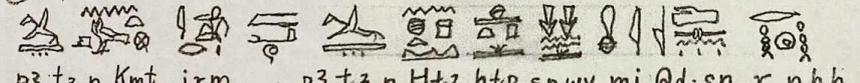

  
 p3 wr e3 n ht3 irm (Wsr-mset-Re) p3 hq3 e3 n Kmt m Htpw nfr m snwy nfr
   
 The great man of Khata together with User Maat Ra the great ruler in peace, beautiful in fraternity, beautiful (and)

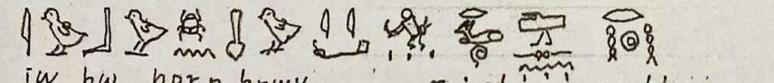
② Peace between Descendants


  
 r n3 hrdw n3 hrdw n.p3 wre3 n ht3 snwy htp irm n3 hrdw n3 hrdw
   
 To the children (of) the children of the great man fraternity together with children (of) children (of)


  
 (Re-ms-sw-mry-lmn) p3 hq3 e3 n Kmt iw w m p3 n shr snwy m p3 n shr n htp
   
 Meri Amun Ramses the great ruler they in the plan (document) in the plan of fraternity (and) of peace

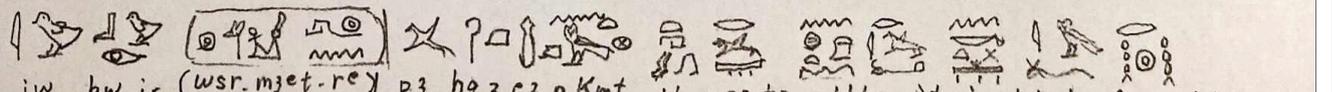
③ Peace between Lands


  
 p3 t3 n Kmt irm p3 t3 n Ht3 htp snwy mi Qd-sn r nhh
   
 The land of Egypt together with the land (are in) peace all together forever


  
 iw bw hprn hrwy r-iwd-sh r nhh
   
 While do not appear hostilities between them forever

④ Mutual Non Agression


  
 iw bw ir p3 wre3 n Ht3 th r p3 t3 n Kmt rnhh ritzi nkt im.f
   
 While not does the great man of Khata attack of Egypt forever to seije things in it


  
 iw bw ir (Wsr-mset-Re) p3 hq3 e3 n Kmt th r p3 t3 n Ht3 ritzi nkt im.f r nhh
   
 And not does User Maat Ra the great ruler of Egypt attack the land of Kheta to seije things in it forever

هذه الكتابات بخط يدي

ملحوظة: هذا المقال هو رؤية شخصية ولا يعبر عن رأي حكومة أو سفارة اليابان